مقدمة

يتناول هذا البحث فترة هامة من تاريخ الحركة الوطنية المصرية ، تبدأ بتولية عباس الثانى أريكة الخديوية فى عام ١٨٩٢ وتنتهى بعزله فى عام ١٩١٤ م . وتبرز أهمية هذه الفترة فى انتقال الأمة المصرية من مرحلة اليأس والقنوط والاذعان للحكم الأجنبى — بعد انتكاس اعلام الثورة العرابية فى التل الكبير — الى مرحلة اليقظة الوطنية والدعوة الى الجلاء والمناداة برحيل قوات الاحتلال عن أرض الوطن ، وتتميز هذه لفترة بعدة سمات بارزة هى :

١ — ظهور رجال أفذاذ قاموا بمحاولة اعادة الثقة الى نفوس مواطنيهم وقادوا حركة التنوير ، وكانوا مثالا للبذل والتضحية والفداء، وحسبهم أنهم كرسوا حياتهم لخدمة أمتهم واعلاء شأنها ، ومن هؤلاء الرجال مصطفى كامل ومحمد فريد .

٢ — وقوف خديو مصر لأول مرة بجانب الحركة الوطنية ومسايرتها لفترة من الزمن مما شد من أزرها أمام الاحتلال ، فاضطرت السلطات البريطانية فى مصر الى مواجهة جبهتين فى وقت واحد هما الحركة الوطنية والقصر .

٣ — ظهور الأحزاب لأول مرة فى مصر عام ١٩٠٧ بتأسيس الأحزاب المصرية الثلاثة (حزب الأمة — وحزب الاصلاح على المبادىء الدستورية — والحزب الوطنى) .

وقد قسمت الكتاب الى عشرة فصول بالاضافة الى فصل تمهيدى ومقدمة وخاتمة وبعض الملاحق .

وتضمن الفصل التمهيدى الأوضاع السياسية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية فى مصر بعد هزيمة الثورة العرابية .

أما الفصل الأول وهو بعنوان « الخديو عباس الثانى بين السلطان والقنصل البريطانى » فقد تناول الظروف الشائكة التى تولى فيها عباس الثانى أريكة الخديوية حيث أنه لم يكن قد بلغ سن الرشد عند وفاة والده ، كما تعرضت فى هذا الفصل الى علاقة الخديو مع كل من السلطان العثمانى والقنصل البريطانى ، وقد اتضح من هذه العلاقة محاولات الخديو التمسك بحقوقه وافتعاله من أجل ذلك بعض الأزمات السياسية سواء مع السلطان عبد الحميد « أزمة الفرمان » أو مع الانجليز فى « الأزمة الوزارية ١٨٩٣ » « وأزمة الحدود ١٨٩٤ » ولكن الدروس التى لقنها له كرومر جعلته يعيد النظر فى مواقفه .

والفصل الثانى وهو بعنوان « الخديو عباس الثانى وبدايات اتصاله بالحركة الوطنية » ، وتناول محاولات الخديو التقرب من الشعب ، ومن أجل ذلك أفرج عن بعض مسجونى الثورة العرابية ، واتصل بعبد الله النديم بعد عودته من منفاه فى مايو ١٨٩٢ وبالشيخ محمد عبده للاستفادة بمكانة كل منهما الوطنية والدينية ، كما شمل هذا الفصل نشاط الخديو السرى ضد الاحتلال بعد حادث الحدود وأثر ذلك على الدعاية للقضية المصرية فى الخارج .

أما الفصل الثالث وهو بعنوان « علاقة الخديو عباس الثانى بمصطفى كامل » ، فقد تناول نشأة مصطفى كامل ودور المجتمع المصرى فى تكوينه وظروف اتصاله بالخديو والخطوط الرئيسية لسياسة مصطفى كامل تجاه الاحتلال وبوجه خاص اعتماده على كل من الخديو والدولة العثمانية وفرنسا ، ثم اتجاهه الى الشعب والاعتماد عليه بعد أن رأى عدم جدوى الاعتماد على القوى الأخرى كما توضح فى هذا الفصل نشاط مصطفى كامل فى أوربا واتصاله بجولييت آدم التى كان تعرفه عليها حدث هام فى حياته السياسية .

والفصل الرابع وعنوانه « مقاومة الخديو الحذرة للاحتـــلال ١٨٩٤ — ١٨٩٨ » ، فقد تناول سياسة الوفاق الظاهرى التى أعلنهـا الخديو ، والمقاومة السرية ضد الاحتلال بعد أزمة الحدود فى نفـس الوقت الذى طالب فيه (الخديو) مصطفى كامل بوقف حملات التشهير ضد الاحتلال ، ثم عودته الى سياسة المقاومة فى أثناء فتح السودان ، ولكن تهديدات كرومر للخديو اضطرته الى التراجع فوافق على اتفاقية السودان فى ١٩ يناير ١٨٩٩ ، كما تناول هذا الفصل علاقة الخـديو بالسلطان عبد الحميد واتضح منها أن مسألة طاشيوز Thasos [1] كانت الصخرة التى تحطمت عليها العلاقات بينهما .

والفصل الخامس وهو « خضوع الخديو للاحتلال » — وقد تناول ضياع أمل الخديو فى المساعدات الدولية ١٨٩٦ — ١٩٠٦ على أثـر حادث فاشودة ، وتراجع فرنسا أمام انجلترا ، كما تناول أيضا اتفاقية السودان ومحاولات كرومر ابعاد الخديو عن الحركة الوطنية ، ثم الاتفاق الودى سنة ١٩٠٤ وآثاره السلبية على حركة المقاومة المصرية ، وموقف الخديو الذى آثر السلامة وانضوى تحت لواء الاحتلال . أما مصطفى كامل فانه لم يتراجع فى وطنيته برغم انصراف معظم الزعماء عن متابعة الحركة الوطنية ، وقد أدى تزايد خضوع الخديو للاحتـــلال الى قطع مصطفى كامل لعلاقته معه ، ثم كان لحادث طابة أكبر الأثر فى انهيار أمل مصطفى كامل فى الاعتماد على الاتراك فى مواجهـة الانجليز كما أصيب المصريون بخيبة أمل فى معونة تركيا . كما فشلوا فى الحصول على معونة فرنسا من قبل بعد حادث فاشودة والاتفـاق الودى واتضح للمصريين ضرورة الاعتماد على أنفسهم قبل أى شىء آخـر .

---

(١) درجت المراجع الحديثة على ذكر اسم ثاسوس Thasos على انه طاشيوز لذلك فاننا سنتبع ما درجت عليه المراجع تسهيلا للقارىء .

وتعرضت فى هذا الفصل الى تفاصيل حادث دنشواى الذى ألهب حماس المصريين ، وهز مركز الاحتلال وأعاد الخديو الى الوقوف مع الحركة الوطنية مما جعل الحكومة البريطانية تفكر من جديد فى تغيير سياستها ازاء مصر .

والفصل السادس وهو بعنوان « سياسة الوفاق بين الخديو والاحتلال وأثرها على ظهور الأحزاب » فقد تناول استقالة كرومر وتعيين جورست فى محاولة من الحكومة البريطانية لاحداث شقاق بين الأمة والخديو ، كما تناول هذا الفصل انقسام الحركة الوطنية وظهور الأحزاب رسميا لأول مرة فى مصر عام ١٩٠٧ وقد اتضح أن الحزب الوطنى كان آخر الاحزاب الكبيرة التى أعلنت عن نفسها رغم اختمار هذه الفكرة فى ذهن مصطفى كامل ، كما اتضح أن دور الحزب الوطنى فى قيادة الحركة الوطنية كان يتمثل فى ازالة آثار الهزيمة التى سيطرت على نفسية الشعب المصرى فى أعقاب الاحتلال وان أبرز مطالب الحزب اذ ذاك كانت الجلاء ، ومع أن الحزب الوطنى كان يتمتع بجماهيرية كبيرة الا أن أفكاره الأساسية لم تعالج القضايا الاجتماعية المعاصرة آنذاك بل هاجمت قاسم أمين فى تحرير المرأة وعلى يوسف فى قضية الزوجية .

أما الفصل السابع وهو بعنوان « علاقة مصطفى كامل بالخديو فى ظل سياسة الوفاق » وقد تناول النتائج التى ترتبت على هذه السياسة بالنسبة لموقف الحزب الوطنى قد حرم نتيجة هذه السياسة من نصير كبير فرغم أن هذا الحزب قد حرم من تأييد ومساندة الخديو فان ذلك لم يؤثر على زعامة الحزب للحركة الوطنية آنذاك ، بل ظل ينبه الأذهان الى خطورة سياسة فرق تسد التى اتبعها جورست ، كما نادى بوحدة الصف لمواجهة السياسة الانجليزية ، وتطرق هذا الفصل الى تحليل علاقة كل من مصطفى كامل وعلى يوسف بالخديو فى ظل الوفاق ، فاتضح تعارض موقف كل من مصطفى كامل وعلى يوسف ،

ففى حين كان مصطفى كامل يرى ضرورة الاستقلال عن الخديو بعد توالى خضوعه للانجليز فان الشيخ على يوسف كان متعلقا بأذيال الخديو سواء سخط على الاحتلال أم تهادن معه ثم تعرضنا الى تحليل سياسة مصطفى كامل ودوره فى قيادة الحركة الوطنية فاوضحنا كيف اتبع مصطفى كامل أساليب متعددة لتحقيق جلاء الانجليز عن مصر ، ولم يترك وسيلة الا ولجأ اليها وبرغم وفاة مصطفى كامل الا أن المعارضة الوطنية لم تمت ، فقد عهد بأعلام الكفاح مرفوعة لزملائه فى الحركة الوطنية ، وكان مصطفى كامل قبل وفاته قد أرسى دعائم حزب سياسى استطاع ادارة دفة الكفاح تحت زعامة محمد فريد .

أما الفصل الثامن فهو بعنوان « الحزب الوطنى بعد وفاة مصطفى كامل » وتناول زعامة فريد للحزب ، ووضحنا فى ذلك الفصل محاولات الخديو احتواء الحزب الوطنى ورغبته فى منع انتخاب فريد رئيسا له بعد مصطفى كامل ، الا أن هذه المحاولات قد فشلت ونودى بمحمد فريد رئيسا للحزب ، وقد اهتم محمد فريد أثناء رئاسته بمطلب الدعوة الى الدستور وتبنى فكرة انشاء المدارس الليلية وتأسيس نقابات العمال وجمعيات الطلاب المصريين بالخارج وعقد المؤتمرات فى أوربا لتوضيح ابعاد القضية المصرية .

وتطرق هذا الفصل الى موضوع الصراع بين فريد وعلى فهمى كامل (شقيق مصطفى كامل) وتمثل الخلال بينهما فى موقف كل منهما من الخديو ففى حين رأى على فهمى مسايرة الخديو فى سياسته ، فان محمد فريد حافظ على مبادىء الحزب كما تناول هذا الفصل أيضا أسباب الخلاف بين الخديو ومحمد فريد وموقف الحزب الوطنى من تعيين بطرس غالى رئيسا للنظار واغتياله على يد ابراهيم الوردانى وانتهاء سياسة الوفاق .

أما الفصل التاسع فهو بعنوان « اضطهاد الحركة الوطنية بعد مقتل بطرس غالى » . وتناول سياسة الانجليز ضد الحركة الوطنية .

فقد اتخذ الاحتلال من مقتل بطرس غالى ذريعة لاتباع أساليب القمع ضد المصريين وسايرهم فى هذه السياسة الخديو فصدر أمر عال بثلاثة قوانين اتاحت للحكومة المصرية السلطة المطلقة فى ضرب الحركة الوطنية ، ونفذت تلك السياسة فى أثناء محاكمة محمد فريد وعبد العزيز جاويش بسبب كتاب « وطنيتى » ، كما تناول هذا الفصل أيضا سفر محمد فريد الى أوربا واستئناف حركة الجهاد بعد أن أخذت الحكومة تتربص له وتحاول من وقت لآخر القاءه فى غياهب السجون ، وبرغم اختلاف الآراء حول خروج فريد من مصر فقد أوضحنا أن نقل فريد ميدان الكفاح الى الخارج كان أكثر فائدة للحركة الوطنية من تواجده وسط مؤامرات الحكومة المصرية وارهابها داخل الوطن ، وفى نهاية الفصل أوضحنا مقارنة بين مصطفى كامل ومحمد فريد ودور كل منهما فى حركة الكفاح الوطنى .

أما الفصل العاشر وهو بعنوان « كتشنر ونهاية الوفاق » فقد تضمن تعيين كتشنر معتمدا بريطانيا والنزاع بينه وبين الخديو وانزواء الخديو فى قصره ومحاولاته التقرب من الحزب الوطنى وعقد صلح مع فريد .

وأوضحنا فى نهاية الفصل انتهاء الدور التاريخى للحزب الوطنى فى قيادة الحركة الوطنية عقب قيام الحرب العالمية الأولى ، كما انتهى أيضا نظام الخديوية فى مصر بعزل الخديو عباس الثانى .

وفى خاتمة البحث أشرت بايجاز الى أهم النتائج التى توصل اليها البحث .

وأهم المصادر التى اعتمدت عليها فتتركز فى مجموعة من الوثائق العربية والاجنبية ونخص بالذكر دار الوثائق القومية ودار المحفوظات العمومية ومتحف مصطفى كامل ووثائق وزارة الخارجية البريطانية .

ففى دار الوثائق بالقلعة تم الاطلاع على محافظ الثورة العرابية وديوان خديو ودواوين المعية السنية عربى ومحافظ مجلس الوزراء حربية ومحاضر جلسات مجلس شورى القوانين ، والأوراق الخاصة بالسيد جمال الدين الأفغانى هذا بالاضافة الى المذكرات الشخصية التى كتبها بعض من عاصروا تلك الفترة أو اشتركوا فى احداثها مثل مذكرات ابراهيم الهلباوى وسعد زغلول ومحمد على علوبة ومحمد فريد ومصطفى كامل .

وفى دار المحفوظات العمومية تم الاطلاع على ملف خدمة وربط معاش المعتمد البريطانى السير الدون جورست .

وفى متحف مصطفى كامل تم الاطلاع على المراسلات التى كان أرسلها مصطفى كامل وهو فى باريس الى على فهمى كامل وأحمد حلمى المحرر باللواء ومحمد فريد .

ذلك الى جانب وثائق وزارة الخارجية البريطانية F. O المتعلقة بالفترة قيد البحث والمصورة من دار الوثائق العامة بلندن Public Record Office والمودعة بمكتبة كلية الآداب جامعة عين شمس وكذلك الكتب الزرقاء Blue Books والخاصة بفترة البحث .

كما رجعنا الى محاضر جلسات مجلس شورى القوانين وتقارير المعتمدين البريطانيين وتقرير الحزب الوطنى عن عام ١٩٠٧ ومجموعة القرارات والمنشورات الصادرة من مجلس النظار ومن النظارات المختلفة عن الفترة المتعلقة بالبحث يضاف الى ذلك أنه تم الاستعانة بـ Parliamentary Debates كما هو موضح بهوامش البحث .

أما عن الصحف الحزبية وغير الحزبية والكتابات المعاصرة والمراجع فقد تم الاعتماد عليها فى استكمال صورة البحث وفى ابراز وجهات النظر وتحليلها .

ويطيب لى أن أعترف بفضل الجهات العلمية التى أعانتنى على اتمام هذا البحث واخص بالذكر دار الوثائق القومية بالقلعة ومركز تاريخ مصر المعاصر والجمعية المصرية للدراسات التاريخية ، كما يسعدنى أن أقدم شكرى لاساتذتى الذين شجعونى على كتابة هذا البحث وأخص بالذكر الدكتور محمد أنيس والدكتور عبد العزيز نوار كما أتوجه بالشكر للدكتور عبد الرحيم عبد الرحمن على المساعدات العلمية التى قدمها لى أثناء عملى فى البحث .

وأتوجه بالشكر أيضا الى الحاج حافظ على عبد الجواد صاحب مطبعة الجبلاوى والسادة العاملين بها .

وانى آمل أن أكون قد وفقت فى اضافة شىء جديد للمكتبة التاريخية .

والله الموفق ..

دكتور عبد المنعم الدسوقى الجميعى

القاهرة — مدينة المعلمين

١٩٨١